تاريخ الدعوة إلى العامية في الوطن العربي

The history of the call to vernacular in the Arab world

إعداد

د. بوجمعة وعلي

Dr. Boujemaa Wali

أستاذ التعليم العالي مساعد - المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال خنيفرة – المغرب

Doi: 10.21608/jnal.2022.234630

الاستلام : ٦/ ٢ /٢٠٢٢ القبول : ١٨ / ٢ /٢٠٢٢

وعلي ، بوجمعه (٢٠٢٢). تاريخ الدعوة إلى العامية في الوطن العربي. ***مجلة الناطقين بغير اللغة العربية*** ، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، مج(٥)، ع (١٣)، ص ص ٣٩ – ٤٨.

تاريخ الدعوة إلى العامية في الوطن العربي

المستَخلص :
تعتبر الدعوة إلى العامية في الوطن العربي وخاصة في عصور الانحطاط والتخلف والاستعمار، من أهم وأخطر الدعوات التي تعرضت لها اللغة العربية على مدى تاريخها الطويل؛ حيث ظهرت هذه الدعوة في جامعات ومعاهد أوربا لتنتقل إلى صالونات الثقافة في العالم العربي، بصوت قوي وواضح تارة وتارة بصوت خافت وضعيف تارة أخرى، إلى أن فشلت في تحقيق ما كانت تصبو إليه. في هذه الورقة سنحاول تعريف العامية وتواريخ وأمكنة ظهورها، وعلاقتها بالاستعمار، والهدف منها، ومآلها.
الكلمات المفتاحية: عامية، وطن العربي، تاريخ، فشل.

Abstract:
The call to vernacular in the Arab world, especially in the eras of decadence, backwardness, and colonialism, is one of the most important and most dangerous calls that the Arabic language has been exposed to over its long history. Where this call appeared in universities and institutes of Europe to move to the salons of culture and politics in the Arab world, with a strong and clear voice at times, and in a low and weak voice at other times, until it failed to achieve what it aspired to. In this paper, we will try to define colloquialism, the dates and places of its emergence, its relationship to colonialism, its purpose, and its fate.
Keywords: Slang, Arab homeland, history, failure.

مقدمة:

يعتبر الكثير من الباحثين والدارسين أن الدعوة إلى إحلال العامية محل اللغة العربية الفصحى وخاصة في عصور الانحطاط والتخلف والاستعمار، من أخطر الدعوات التي تعرضت لها اللغة العربية على مدى تاريخها الطويل؛ حيث ظلت هذه الدعوة تتردد داخل الوطن العربي وخارجه تارة بصوت قوي وواضح وتارة بصوت خافت وضعيف، إلى أن فشلت في تحقيق ما كانت تصبو إليه.

1- مفهوم العامية (الدارجة):

العامية أو الدارجة: نمط لغوي يسميه الأوروبيون بالعربية المحكية Speken arabic أو عربية اللهجة dialect، ويسميه فرجسون بالنمط المنخفض في اللغة low ويرمز له بـ (L)، مقابل النمط الأعلى أو الرفيع hight يرمز له (H) والذي هو اللغة المعيارية.

فالعامية نمط لغوي، يتعلمه الإنسان العربي في مختلف أصقاع الوطن العربي، وهو يختلف من منطقة لأخرى، ومن قطر لآخر ومن فئة لأخرى، كما يتمايز بأصواته وكلماته وقواعده، يستعمله الإنسان في محيطه اليومي العادي مع محيطه، به يتواصل: يغني، يهمس، يناقش ويشتم... .

وكما أن العامية نمط لغوي؛ ازدهر بانتشار الأمية وغياب التعليم، وقد اتجه نحو التبسيط والبعد عن أي تعقيدات في الصوت، النطق، الصرف، النحو واختيار الكلمة.[١]

٢- تاريخ الدعوة الى العامية في الوطن العربي

٢.١- الدعوة إلى العامية في أوربا: يؤكد كثير من الباحثين،[٢] أن أول من نظر للدعوة إلى العامية وأسس لبرامج تدرسيها هم الأوربيون؛ من خلال إنشائهم لبعض المدارس مثل: مدرسة نابولي للدروس الشرقية بإيطاليا سنة ١٧٢٧م، ومدرسة القناصل بالنمسا سنة ١٧٤٧م، التي درس بها حسن المصري صاحب كتاب "أحسن النجب في معرفة لسان العرب"، ومدرسة باريس للغات الشرقية بفرنسا سنة ١٧٥٩م، التي درس بها **ميخائيل الصباغ** صاحب كتاب "الرسالة التامة في كلام العامة" سنة ١٨٦٦م، ومدرسة لازارف الإكليركية للغات الشرقية بروسيا، التي عمل بها الشيخ محمد عباد الطنطاوي، ومدارس أخرى في كل من ألمانيا، إنجلترا والمجر... .

١- محمد، راجي الزغول، (٢٠٠٥)، دراسات في اللسانيات العربية والاجتماعية، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ص. ٢٦.

٢- محمد، وحيدي، بين الفصحى والعامية، أغاليط الخطاب التلهيجي، مجلة اللسان العربي، عدد ٢٠١٣/٧١، ص. ١٣٢.

كما ألف أحمد فارس الشدياق، كتابا في العامية بجامعة لندن، عنوانه "أصول اللغة العربية المحكية" سنة ١٨٥٦م. وقد كانت للعامية المصرية، نصيب الأسد في هذا الاهتمام والدراسة، وذلك من خلال كتاب "قواعد العربية العامية في مصر" للمهندس الإنجليزي **سبيتا**، وكتاب "اللغة المحكية في مصر" للقاضي الإنجليزي **ولمور**، وكتاب "المقتضب في عربية مصر" للقاضيين **داول** و **فيولت**.[٣] والحقيقة أن الحماس الذي أبداه الأوروبيون للعاميات، وخاصة العامية المصرية كان كبيرا ومستغربا، خصوصا من طرف مهندس الري البريطاني **وليام ولكسوس**، الذي وفد إلى مصر عام ١٨٨٣م، ليقود حملة شرسة على اللغة العربية الفصحى باعتبارها لغة قديمة، عتيقة وجامدة، داعيا إلى إحلال العامية محلها.[٤]

٢.٢- الدعوة إلى العامية في المشرق العربي: يؤكد محمد شاكر في كتابه "أباطيل وأسمار"، أن جذور الاهتمام الأوربي بالعامية العربية تعود إلى سنة ١٦٦٤م، حيث دعا البارون **دي ويتز** إلى تأسيس مدرسة جامعية لتعليم لغات الشرق، يناط بها أمر التبشير،[٥] حيث ذكر الكثير من دعاة العامية في الشرق العربي أمثال: **ولهلم سبيتا** الإنجليزي **وكارل فولرس** الألماني، والمبشر الإنجليزي (المهندس) **وليم ويلكسوس** مترجم الإنجيل إلى العامية، والمستشرق **سلدن ويلمور** مؤلف كتاب "العربية المحلية في مصر" سنة ١٩٠١، بالإضافة إلى لويس عوض وأمين شميل وسلامة موسى. كما كان رفاعة الطهطاوي (١٨٠١/١٨٧٣م) أحد رواد النهضة العلمية والفكرية في مصر، ومؤسس "مدرسة الألسن"، وصاحب مجلة "روضة المدارس"، من بين الدعاة الأوائل إلى العامية، حيث وظفها في كتاباته وفي الترجمة والصحافة، نتيجة إعجابه حد الانبهار بالفكر والثقافة الغربية أثناء مقامه الطويل بفرنسا. أما **سلامة موسى** صاحب كتاب "البلاغة العصرية واللغة العربية"، فقد دعا إلى فرعنة الثقافة المصرية، وتبني عاميتها، شأنه في ذلك شأن **سعيد عقل** الذي هو الآخر إلى لبننة اللغة في لبنان، وفينقة أصولها وثقافتها، حيث أصدر ديوانه الشعري "يارا" بالحرف اللاتيني، واستهله ببعض الحروف الفينيقية، ومن تلامذته المدافعين عن هذا الطرح نجد **فرانك سلامة**.[٦]

وعليه، فإن الدعوة إلى العامية في المشرق العربي أنتجت الكثير من الدراسات والأبحاث والمؤلفات، من أهمها أطروحة الدكتورة **نفوسة زكريا سعيد**، "الدعوة إلى العامية

---

٣ - محمد، راجي الزغول، دراسات في اللسانيات العربية والاجتماعية، مرجع سابق، ص. ٣٦.

٤- المرجع نفسه، ص. ٣٧.

٥- محمود، محمد شاكر، أباطيل وأسمار، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص .١٨٤.

٦- عبد القادر، الفاسي الفهري، (٢٠١٣)، السياسة اللغوية في البلاد العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، سبتمبر، ص. ٤٥.

وآثارها في مصر"، بجامعة الإسكندرية سنة ١٩٦٤م؛ التي أبرزت فيها أن البدايات الأولى لاهتمام الأوروبيين بالعامية العربية، تعود إلى أوائل القرن ١٨م، حينما تم تأسيس معاهد ومراكز لدارسة العامية في العديد من الدول الأوروبية.[٧]

٢.٣- الدعوة إلى العامية في الغرب الإسلامي: بدأ الاهتمام بالعامية/الدارجة مبكرا في الغرب الإسلامي، بحكم التماس والاتصال الجغرافي والحضاري بين المسلمين والمسيحيين على أرض الأندلس، وبحكم رغبة المسيحيين في تنفيذ مشروع الاسترداد والتنصير، ويعد **محمد بنشريفة**[٨] أبرز من كتب في هذا المجال، وذلك من خلال بحثه حول "معاجم اللغة العامية المغربية" الذي قدمه إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الخامسة والستين سنة ١٩٨٩م، وتم نشره في العدد ٨٩ من مجلة المجمع، إذ بين فيه بنشريفة أن بدايات الاهتمام بالعامية في الغرب الإسلامي، بدأ في الأندلس في القرن ٧هـ، حينما وضع الراهب الكطلاني **"ريموند مرتين"** معجما عربيا لاتينيا وأخر لاتينيا عربيا، اعتمد فيه عامية شرق الأندلس، كما نشر الراهب **"بيدرو دي ألكالا"** في غرناطة ١٥٠٥م معجما عاميا بهدف الإعانة والمساعدة على تنصير المسلمين، الذين بقوا تحت الذمة، كما أعاد الراهب الطليطلي **باتريك دولا توري** الاشتغال على معجم **"بيدرو"**، وسماه "السراج في اللغة المعجمية المنقولة من اللغة الإسبانيولية إلى العربية"، وقد طبع في مدريد سنة ١٨٠٥م،[٩] بالإضافة إلى رهبان آخرين اشتغلوا على ألفاظ العامية، كالراهب **"ليو شوندي"** من خلال "المعجم الإسباني العربي" المنشور سنة ١٨٩٢م، و**"ألفونصو دالكاستيلو"** الذي ترجم الكثير من النقوش التي وجدت على جدران قصر الحمراء، ومراسلات أحمد المنصور الذهبي والملك فيلب الثاني.[١٠]

٢.٤- الدعوة إلى العامية في المغرب العربي: تجلت الجذور الأولى للدعوة إلى العامية في شمال إفريقيا وخاصة بلدان المغرب العربي، في إقامة "كرسي اللغة المغاربية" بمدرسة اللغات الشرقية بفرنسا ابتداء من سنة ١٩٢٠م، إذ لعب كل من وليم مارسي (١٨٧٣/١٩٥٦م) وجورج كولن (١٨٩٣/١٩٧٧م)، دورا كبيرا في إدارته والدعاية له، حيث كانا ينشران الدعوة إلى العامية في الجزائر والمغرب من خلال وظيفتهما في الإدارة الاستعمارية بالبلدين، ومن خلال مهامها الأكاديمية في مجال التدريس والبحث

٧- مصطفى، بن حمزة، الدعوة إلى العامية: المسار والأهداف، الدعوة الى العامية: المسار والأهداف، مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية والاجتماعية، وجدة.، ص. ١٦.

٨- محمد، بنشريفة، معاجم اللغة العامية المغربية، مجلة مجمع اللغة العربية، عدد ١٩٨٩/٨٩، ص. ١٣٥.

٩- محمد، بنشريفة، معاجم اللغة العامية المغربية، مرجع سابق، ص. ١٤٤.

١٠- محمد، بنشريفة، معاجم اللغة العامية المغربية، مرجع سابق، ص. ٣٣.

العلمي، يقول برونو: (إذا قطعنا أي صلة باللغة المسماة كلاسيكية (يقصد اللغة العربية الفصحى) فلغة محلية مثل العربية المغربية (الدارجة) مستقلة عن الكلاسيكية، استقلال الإيطالية العصرية عن لاتينية شيشرون).[١١]

كما أنشأت السلطات الاستعمارية أيضا "معهد الأبحاث العليا المغربية"، الذي نشر الكتابة والتدريس بالعامية، اعتمادا على ما كتبه المستشرق الفرنسي جورج كولان، حول الازدواج اللغوي في اللغة العربية؛ باعتباره عائقا كبيرا في التعليم والتعلم باللغة العربية الفصحى، وقد قدم لذلك ثلاث وصفات متكاملة:

أ- تغيير الفصحى وتبسيطها.

ب- تعليم العامية الدارجة باعتبارها اللغة التي يفهمها الجميع.

ج- الاستغناء عن الفصحى والدارجة معا، والاعتماد على اللغة الفرنسية، وهذا هو الهدف الاستراتيجي لخطته.[١٢]

وقد ذكر المفكر المغربي **عبد الله العروي** في كتابه "ديوان السياسة"، أن **هنري لاوست**[١٣] * أخبره بأن (إدارة الحماية الفرنسية كانت تنوي جعل الدارجة لغة رسمية للمغرب، واستدعت لذلك عددا من المختصين في اللسانيات واللهجات، فأجمعوا لها على فشل هذا المشروع).[13]

3- فشل الدعوة إلى العامية: الأسباب والمظاهر:

1.3- أسباب فشل الدعوة إلى العامية: رغم شراسة الحروب التي تعرضت لها اللغة العربية منذ قرون خلت، ورغم اعتمادها على جميع الوسائل والآليات، وتوظيفها لكل نقط الضعف لديها الداخلية منها والخارجية، ورغم تكالب الجميع عليها من أعداء الخارج وعملاء الداخل، فإن الدعوة إلى العامية لقيت فشلا ذريعا في الشرق قبل ١٠٠ عام، وفي المغرب الإسلامي ماضيا وحاضرا، وذلك لأسباب كثير أهمها:

أ- قوة وصمود اللغة العربية: من المؤكد لدى المفكرين وعلماء اللغة أن سر صمود اللغة العربية أمام كل حروب الإبادة التي تتعرض لها، هو ارتباطها العضوي بالدين الإسلامي والقرآن الكريم، فهي التي قدمته إلى الناس وحملت وحيه وكلماته، وامتزجت به، وهي مظهر من مظاهر إعجازها البياني، كما أن القرآن الكريم أغدق عليها من

11- Brunot. louis, (1946), introduction à l'arabe Marocain, paris, p. 02.

١٢- مصطفى، بن حمزة، (٢٠١٤)، الدعوة الى العامية: المسار والأهداف، مرجع سابق، ص. ٤٢.

* هنري لاوست (١٩٠٥- ١٩٨٣م) مستشرق فرنسي يبحث في " السياسة والإسلام".

١٣- عبد الله، العروي، (٢٠٠٩)، ديوان السياسة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. ص. ٥٦.

المضامين والدلالات الجديدة، كما نشأت من القرآن والسنة علوم كثيرة (علم التفسير، علم الحديث، علم الأصول، علم الفقه...) مما منحها دلالات ثلاثية: لغوية واصطلاحية وشرعية.[١٤]

ب- عدم التكافؤ بين الفصحى والعامية: ترتكز الدعوة إلى العامية كبديل عن اللغة العربية الفصحى على توهم التكافؤ بين الفصحى والعامية وتساويهما في القدرة على التعبير والإفصاح عن كل المعاني والأفكار، وهذا غير صحيح لأن اللغة العربية لغة واسعة في مادتها، دقيقة في معانيها، تقيم الفروق بين الكلمات، ولا تسمح باستعمال كلمة بدلا من غيرها في الغالب، فالمقارنة بين الفصحى والعامية غير ممكنة وغير مقبولة من حيث المبدأ، فليس هناك لغة لم تخدم ولم يشتغل عليها، بمثل ما حظيت به العربية الفصحى، كما لم تجمع مادة لغة كما جمعت مادة الفصحى، ولم يكتب عن نحو وصرف وتركيب أي لغة، مثل ما كتبه النحاة واللغويين العرب، أمثال: سيبويه، وأبو بكر الزبيدي، وابن فالويه، وابن القوطية، وابن القطاع السعدي[١٥] عن اللغة العربية.

إن توهم تكافؤ الفصحى والعامية وتساويهما، وإمكان تفريغ معاني ودلالات ألفاظ الفصحى في العامية، هو أشبه بمحاولة تفريغ بحر محيط في كأس صغير، ومن ثم فإن الدعوة إلى العامية تهدف إلى التفريط في كل المعاني والمضامين الحضارية والدينية والثقافية التي تحملها اللغة العربية، مثلما تحمل البصمة الوراثية كل خصائص صاحبها.[١٦]

أما من الناحية اللسانية الصرفة، فإن استعمال العامية لا يدخل ضمن التعدد اللغوي أو الثنائية اللغوية، لأن العامية ليست لغة بل لهجة، واللهجة حسب علماء اللغة، مستوى من مستويات اللغة أو شكلا من أشكالها، فهي تمثل نوعا له سمات لغوية خاصة في منطقة جغرافية معينة، كما أن اللهجات لا ترقى وظيفيا إلى مصاف اللغات الفصيحة والمعيارية، بسبب ضآلة مفرداتها، وفقر بنيتها وتراكيبها، ومحدودية نطاقها الجغرافي، وعدم صلاحيتها للتفكير المنطقي التجريدي، وأيضا على التعبير عن الأبحاث العلمية، فهي صالحة للتواص وللاستخدام اليومي السريع.[١٧]

ج- **قابلية اللغة العربية للتطور والتجديد:** تميزت اللغة العربية بصيرورة لها منطقها الخاص، وقواعدها وشكلها، وقد تغيرت دوما مع تغير الزمن، فعربية العصر العباسي

١٤- مصطفى، بن حمزة، الدعوة إلى العامية: المسار والأهداف، ص. ٥٤.

١٥- المرجع نفسه، ص. ٤٦/٤٧.

١٦- المرجع نفسه، ص. ٥١/٥٢.

١٧- علي،القاسمي، التعدد اللغوي والتنمية البشرية، مجلة اللسان العربي، عدد ٧١/٢٠١٣، ص. ٢٢١.

عندما أخذ العرب يترجمون تراث اليونان، والفرس والهند، هي بالتأكيد ليست عربية المعلقات أيام العصر الجاهلي، وليست عربية العصر النبوي والعصور التي تلته، فاللغة العربية تطورت كثيرا عبر الأزمان كما تطورت خلال عصر النهضة (القرن ١٩م) وخاصة في المجال الإعلامي.[١٨]

كما أن اللغة العربية تتوفر على درجة جد محترمة من التنافسية في المشهد اللغوي الكوني، الذي يتشكل من أزيد من أربعة آلاف (٤٠٠٠) لغة، وهي من ضمن اللغات الست المتصدرة لترتيب اللغات العالمية لاعتبارات عديدة أهمها:[١٩]

- الموقع الاستراتيجي للوطن العربي، وغناه البشري والاقتصادي والتجاري.
- الدينامية التواصلية للغة العربية، وخاصة في شبكات التواصل الاجتماعي.

٢.3- مظاهر فشل الدعوة إلى العامية: أما مظاهر فشل الدعوة إلى العامية فتتمثل في:[٢٠]

- إقبال الجمهور على البرامج المعدة باللغة العربية الفصحى في القنوات التلفزية، حيث أصبحت نسب مشاهدة هذه البرامج في القنوات المغربية الرسمية مثلا عالية.
- ظهور قنوات عربية ودولية باللغة العربية الفصحى، لها صيت عالمي مثل قناة الجزيرة، BBC، فرانس ٢٤، العربية، الحرة.

خاتمة:

خلفت الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة رسمية في الوطن العربي العديد من المشاكل السياسية والاجتماعية والقانونية والثقافية والأدبية واللغوية خلال القرن الماضي وما بعده، غير أنها بدأت بالدعوة إلى الثورة على اللغة العربية الفصحى وانتهت بالثورة على العامية.

١٨- عبد الله، ساعف، الخطر الذي يواجه اللغة العربية تهديد مركزي للكيان المغربي، جريدة أخبار اليوم، عدد ١٢٢٥، بتاريخ ٢٠١٣/١٢/٣٠، ص. ٠٩.

١٩- المرجع نفسه، ص. ٠٩.

٢٠- محمد، العربي، المساري، الدارجة في التواصل نعم، في التعليم لا، جريدة أخبار اليوم، عدد ١٢٢٨، بتاريخ ٢٠١٣/١١/٢٨، ص. ٠٨.

لائحة المصادر والمراجع المعتمدة:

١- محمد، راجي الزغول،(٢٠٠٥)، دراسات في اللسانيات العربية والاجتماعية، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، إربد، الاردن.
٢- عبد القادر، الفاسي الفهري،(٢٠١٣)، السياسة اللغوية في البلاد العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، سبتمبر.
٣- مصطفى، بن حمزة،(٢٠١٤)، الدعوة الى العامية: المسار والأهداف، مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية والاجتماعية، وجدة.
٤- عبد الله، العروي، (٢٠٠٩)، ديوان السياسة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
٦- محمود، محمد شاكر أباطيل وأسمار، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
٧- مجلة اللسان العربي، عدد ٢٠١٣/٧١، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، مطبعة الأمنية.
٨- مجلة مجمع اللغة العربية عدد ٨٩، (١٩٨٩).
9- جريدة أخبار اليوم، عدد ١٢٢٨، بتاريخ ٢٠١٣/١١/٢٨.
10- جريدة أخبار اليوم، عدد ١٢٢٥، بتاريخ ٢٠١٣/١٢/٣٠.
11- Brunot. louis, (1946), introduction l'Arabe marocain, paris.